التفسير الميسر

للقرآن الكريم

للعلامة الرضي الشيخ

سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي

(المتوفى سنة ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م)

تحقيق

مصطفى بن محمد شريفي و محمد بن موسى بابا عمي

(من جمعية التراث بالقرارة)

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

التفسير الميسر
للقرآن الكريم

للعلامة الرضي الشيخ

سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي

(المتوفى سنة ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م)

تحقيق

مصطفى بن محمد شريفي و محمد بن موسى بابا عمي

(من جمعية التراث بالقرارة)

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

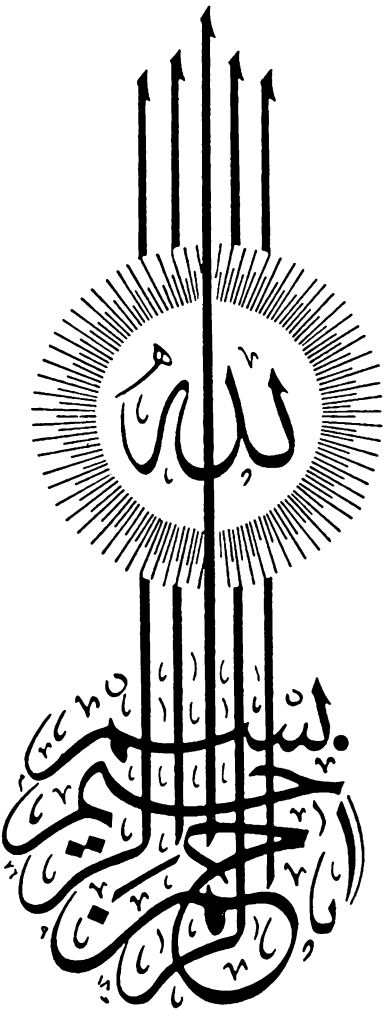
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

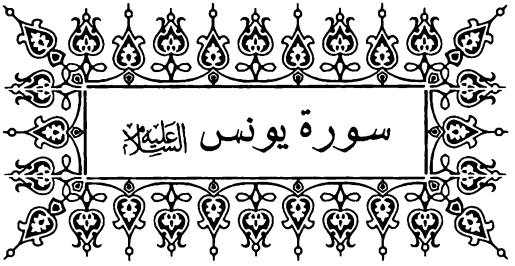

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر تلك آياتُ الكتابِ الحكيم(١)﴾ الكتاب: إشارة إلىَ مَا تَضمنَّته السورة مِنَ الآيات، ﴿أكَانَ للناس عَجَبًا﴾؟ لإنكار التعجُّب، ﴿أن أَوحينا إلىَ رجل مِنْهُم أَنْ أَنذِرِ الناسَ وبشِّرِ الذِينَ آمنوا﴾ من أفناء[1] رجالهم دون عظيم من عظمائهم[2]، قيل: كَانُوا يقولون: العجبُ أنَّ الله لم يجد رسولا يرسله إلىَ الناس إلاَّ يتيمَ أبي طالب؛ لقوله: ﴿لولا نُزلَ[3] هَذَا القرآن عَلَى رجلٍ مِنَ القريتين عظيم﴾[4] وذلك من فرط حماقتهم، وقصور نظرهم عَلَى الأمور العاجلة، ﴿أنَّ لَهُم﴾ بِأنَّ لَهُم. ومعنى: فِي «للناس» [كَذَا] أنَّهم جعلوا لَهُم أُعجوبة يتعجَّبون مِنْهُ؛ والذي تعجَّبوا مِنْهُ أن يوحى إلىَ بشر، وأن يكون رجلاً من سائرهم يرسله إلىَ الناس، وأن يذكِّرهم بالبعث وينذِر بالنيران، ويبشرَ بالجنان؛ وكلُّ وَاحِد من هَذِهِ الأمور ليس بعجب، لأَنَّ الرسل المبعوثين إلىَ الأمم، لم يكونوا إلاَّ بَشَرا

---

١ - «رجل من أفناء الناس: أي لا يُدرى من أي قبيلة هو، وَقِيلَ: إنَّمَا يقال: قوم من أفناء القبائل ولا يقال رجل». ابن منظور: لسان العرب، ١١٣٩/٤.

٢ - في الأصل: «عظائمهم»، وهو خطأ.

٣ - في الأصل: «يزال»، وهو خطأ من الناسخ.

٤ - سورة الزخرف: ٣١.

مثلهم؛ وإرسال اليتيم أو الفقير ليس بعجب أَيْضًا، لأَنَّ الله تعالى إِنَّمَا يختار للنبوَّة من جميع[1] أسبابها، والغِنَى والتقدُّم فِي الدُّنْيَا ليس من أسبابها، والبعث للجزاء عَلَى الخير والشر هُوَ الحكمة العظمى، فكيف يكون عجبًا، إِنَّمَا العجب والمنكَر فِي العقول تعطيل ذَلِكَ. ﴿قَدَمَ صِدقٍ عند رَبِّهم﴾ أي: سابقةً وفضلاً ومنزلةً رفيعةً، ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ: إِنَّ هَذَا﴾ يعنون مُحَمَّدا ﷺ ﴿لساحر مُبِين(٢)﴾ أي: كَذِبٌ بَيِنٌ.

﴿إِنَّ رَبَّكُم الله الذِي خَلَقَ السَّمَاوَات والأَرْض﴾ التِي [هي] أصول الممكنات ﴿فِي ستَّة أَيَّام؛ ثُمَّ استوى عَلَى العرش﴾ أي: استولى فقد تقدَّس الديَّان عَن المكَانَ، والمعبود[2] عَن الحدود؛ ﴿يدبِّر﴾ يقضِي ويقدر عَلَى مقضي[3] الحكمة أمر الكائنات، ﴿الأمرَ﴾ أمر الخلق كلِّه، وأمر ملكوت السَّمَاوَات والأَرْض والعرش، ولَمَّا ذَكر عَلَى مَا يدلُّ عَلَى عظمة شأنه وملكه، مِن خلق السَّمَاوَات والأَرْض، والاستواء عَلَى العرش، أَتْبَعَهَا هَذِهِ الجملة، لزيادة الدلالة عَلَى العظمة؛ وأنَّه لاَ يخرج مِنَ الأمور[4] من قضائه وتقديره، وكذلك قوله: ﴿مَا من شفيع إِلاَّ مِن بَعدِ إذنه﴾ دليل عَلَى عزه وكبريائه، وقيل: ردٌّ لقولهم: الأصنام شفعاؤنَا؛ ﴿ذلكم﴾ العظيم الموصوف

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «مَن جمَع أسبابَها».

٢ - في الأصل: «المبعود»، وَهُوَ خطأ.

٣ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «مقتضَى».

٤ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «لا تخرج الأمور من قضائه».

بِمَا وُصِف بِهِ. ﴿ا لله ربُّكم﴾ وَهُوَ الذِي يستحقُّ العبادة، ﴿فاعبدوه﴾ ووحدوه وَلاَ تشركوا بِهِ بعضَ خلقه مِنَ إنسان أو مَلَك أو جنٍّ أو إنسٍ أو هواء[1] أو غير ذَلِكَ مِنَ المخلوقات؛ ﴿أفلا تذَّكرُونَ(٣)﴾ أفلا تدَّبَّرون فتستدلُّون بوجود المصالح والمنافع عَلَى وجود المصلح النافع.

﴿إِلَيْهِ مَرجعُكم جميعا﴾ الحقُّ هُوَ المرجع إِلَى ا لله؛ فاستعدُّوا للقائه، واحذروا عَن أن [٦٢٧] تُلاقوه مشركين بِهِ شَيْئًا من مخلوقاته؛ ﴿وعدَ ا لله حقًّا إِنَّهُ يبدأ الخلق ثُمَّ يعيده﴾ للجزاء، لقوله: ﴿ليجزي الذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: الحكمةُ بابتداء الحق[2] وإعادته هُوَ جزاء المكلَّفين عَلَى أعمالهم، وغير المكلَّفين خَلَقَه نفعا للمكلَّفين. ﴿بالقسط﴾ بالعدل لاَ بظلم مِنْهُ، كُلٌّ مِنْهُم عَلَى قدر عمله لقوله: ﴿فمن يعمل مثقال ذرَّة خيرًا يره﴾[3]. ﴿وَالذِينَ كَفَرُوا لَهُم شرابٌ من حميم﴾ حارٌّ، ﴿وعذابٍ أليم، بِمَا كَانُوا يكفرُونَ(٤)﴾.

﴿هُوَ الذِي جعل الشمس ضياءً والقمرَ نورا وقدَّره منازلَ﴾ والحكمةُ: ﴿لتعلموا عددَ السنين والحساب﴾ حساب الآجال والمواقيت المقدَّرة بالسنين والشهور؛ ﴿مَا خلق ا لله ذَلِكَ﴾ المذكور، ﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ الذِي هُوَ الحكمةُ البالغةُ، و لم يخلقه عبثًا؛ ﴿يفصِّل﴾ أي: يُبَيِنُ ﴿الآيات لقوم يَعْلَمُونَ(٥)﴾ فينتفعون بالتأمُّل فِيهَا.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «هوًى».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «الخلق».

٣ - سورة الزلزلة: ٧.

﴿إنَّ في اختلاف الليل والنهار﴾ في مجيء كُل وَاحِد منهما خلف الآخر، ﴿وَمَا خَلَقَ الله في السَّمَاوَات والأَرْض﴾ من شيء، ﴿لآيات لقوم يتَّقونَ(٦)﴾ خصَّهم بالذكر، لأَنَّهُم يحذرون العاقبة، فيدعُوهُمُ الحذر إلَى النظر.

﴿إنَّ الذِينَ لاَ يرجون لقاءنا﴾ لاَ يتوقَّعون بِهِ أصلاً، لغفلتهم عَن التفطُّن بالحقائق، وَلاَ يأملون حسن لقائنا، كما يأملُه السعداء؛ أو لاَ يخافون سوء لقائنا الذِي يجب أن يُخاف، ﴿ورضوا بالحياة الدُّنْيَا﴾ بَدَلا مِنَ الآخِرَة؛ وآثروا القليل الفاني، عَلَى الكبير الباقي، ﴿واطمأنوا بها﴾ وسكنوا فِيهَا سكون من لاَ يُزعج عنها؛ فبنوا شديدًا، وجمعوا كثيرًا، وأملوا بعيدًا. ﴿وَالذِينَ هم عَن آياتنا﴾ عَن أدلَّتنا ﴿غافلُونَ(٧)﴾ لاَ يتفكَّرون فِيهَا. ﴿أُولَئِكَ مأواهم النار بِمَا كَانُوا يكسبُونَ(٨)﴾.

﴿إنَّ الذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم رَبُّهُم بإيمانهم﴾ يُسددُهم بسبب إيمانهم للاستقامة عَلَى سلوكِ التسديد المؤدي إلَى الثواب؛ وفيه إضمار، أي: يُرشدهم رَبُّهم إلَى جنَّته، ﴿تجري من تحتهم الأنهار في جَنَّاتِ النعيم(٩)﴾.

﴿دَعوَاهم فِيهَا سُبحانك اللَّهُمَّ﴾ أي: دعاؤهم، لأَنَّ اللهمَّ نداء لله، ومعناه: اللهمَّ إنَّا نُسبحك، أي: يدعون الله بقولهم: «سبحانك اللهمَّ» تلذُّذًا بذكره لاَ عبادة، لأَنَّ العبادة قد انحطَّت عَنْهُم، وبقوا متنعمين بثوابها أبد الآباد؛ فيَا لهَا من سعادة مَا أدوَمَهَا؛ ﴿وتحيَّتهم فِيهَا سلام﴾ أي: يُحيي بعضهم بعضا بالسلام؛ أو هُوَ تحيَّة المَلاَئِكَة إيَّاهم؛ أو تحيَّةُ الله لَهُم ببشارةٍ لِما دُعوا أو إجابةً لِمَا سُئلوا؛ ﴿وآخر دَعواهم﴾ وخاتمة دُعائهم الذِي هُوَ

التسبيح، ﴿**أَنِ الحمدُ لله رَبِّ الْعَـالَمِينَ(١٠)**﴾ أي يقولـون: الحمـد لله رَب الْعَالَمِينَ؛ قيل: أوَّل كلامهم التسبيح، وآخره التحميـد؛ فيبـدؤون بتعظيـم الله وتنزيهه، ويختمون بشكره والثناء عليه، ويتكلَّمون بينهما بِمَا أرادوا، تنبـُّها[1] لفضل التسبيح والتحميد.

﴿**ولو يعجِّل الله للناس الشرَّ استعجالهم بالخير**﴾ أصله ولـو يعجـل الله الشرَّ تعجيلُه لَهُمُ الخيرَ؛ فوضع استعجالهم[2] بالخير موضع تعجيلـه لَهُـمُ الخـير؛ إشعارًا بسرعةِ إجابته لَهُم، والمراد: أهـل مكَّة أو غـيرهم، كقولهـم: ﴿فـأَمطِرْ علينا حجارةً مِنَ السَّمَـاءِ﴾[3]، أي: ولو عجَّلنا لهم الشرَّ الذِي دعـوا بِـهِ كمـا نعجلُ لَهُمُ الخير، ونجيبهم إِلَـيْـهِ، ﴿**لَقُضيَ إِلَـيْهِم أجلُهـم**﴾ لأُميتـوا وأهلكـوا؛ ولكن ﴿**فنذرُ الذِينَ لاَ يَرجون لقاءنـا فِي طغيـانهم**﴾ شِـركِهم وضلالتهـم إلى مضي آجالهم، وذلك هُوَ الخذلان بعينه؛ كأنَّه قيـل: [٢٢٨] وَلاَ يُعجـل لَهُـمُ الشرَّ، وَلاَ يقضى إِلَـيْهِم أجلهـم؛ فنذرهـم أي: نمهلهـم فِي طغيـانهم، ونفيـض عَلَيْهِمُ النعمة مَـعَ طغيـانهم، إلزامـا للحجـَّة عليهـم. ﴿**وإذا مـسَّ الإنسـان**﴾ أصابه ﴿**الضرُّ، دعانا**﴾ لإزالته، ﴿**لِجَنبـه أو قـاعدا أو قائمـا**﴾ وفـائدة ذكـر هَذِهِ الأحوال، أنَّ المضرور لاَ يزال داعيا لاَ يَفتر عَن الدعاء، حتَّى يـزول عَنْـهُ الضرُّ؛ فهو يدعو الله فِي حالاته كلِّها بلسـان مقالـه أو لسـان حالـه. ﴿**فَلَـمَّا**

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «تنبيها».

٢ - في الأصل: «استعاجلهم»، وهو خطأ.

٣ - سورة الأنفال: ٣٢.

كشفنا﴾ فرَّجنا ﴿عَنْهُ ضرَّه، مَرَّ كأن لم يدعنا إِلَىٰ ضرٍّ مسَّه﴾ أي: استمرَّ عَلَى طريقته الأولى قبلَ مس الضر، ونسيَ حال الجهد، كأن لم يكن مِنْهُ، وفيه ذَلِكَ. ﴿كذلك﴾ مثل ذَلِكَ التزيين، ﴿زُيِّن للمسرفين﴾ للمجاوزين الحدَّ عَلَى الكفر ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٢)﴾ مِنَ الانهماك في الشهوات، والإعراض عَن العبادات، وترك التدبُّر للآيات.

﴿وَلَقَد أهلكنا القرون من قبلكم[1] لَمَّا ظلموا﴾ أشركوا، ﴿وجاءتهم رُسلهم بِالبَيِّنَاتِ، وَمَا كَانُوا ليؤمنوا﴾ أي: مَا استقام [لهم] أن يؤمنوا[2] لفساد استعدادهم، وخذلان الله لَهُم، وعلمه بأنَّهم يموتون عَلَى كفرهم. ﴿كذلك﴾ مِثلُ ذَلِكَ الجزاء، يعني: الإهلاك، ﴿نجزي القوم المجرمِينَ(١٣)﴾ وَهُوَ وعيد لمن نزل بتلك المنزلة.

﴿ثُمَّ جعلناكم خلائفَ فِي الأَرْض من بعدهم﴾، الخطاب للذين بُعِثَ إِلَيْهِم مُحَمَّد ﷺ، أي: استخلفناكم فِي الأَرْض بعد القرون المهلكة؛ ﴿لننظر كيف تَعْمَلُونَ(١٤)﴾ أي: لننظر أتعملون خيرا أو شرًّا، فنعاملكم عَلَى حسب عملكم.

﴿وإذا تُتلى عَلَيْهِم آياتنا بَيِّنَاتٍ﴾ للراسخين في العلم، أو لمن عداهم؛ ﴿قَالَ الذِينَ لاَ يرجون لقاءنا﴾ لمَّا غاظهم[3] مَا فِي القرآن من ذم

---

١ - في الأصل: - «وَلَقَد أهلكنا القرون من قبلكم»، وهو سهو.

٢ - في الأصل: «ما ستقام أن يؤموا»، وفيه خطآن.

٣ - في الأصل: «غاضهم»، وهو خطأ.

عبادة الأوثان، والوعيد لأهل الطغيان: ﴿ائْتِ بقرآنٍ غيرِ هَذَا﴾ يوافق غرضنا، ﴿أو بدِّلْه﴾؛ كلٌّ من لاَ يرجو لقاء الله إذَا قامت عليه الحجة سعى[كذا] مِنَ الدِينَ لَوَى عُنُقه، إلاَّ مَا وافق هواه. ﴿قل: مَا يكونُ لِي﴾ مَا يستقيم لي ﴿أن أبدِّله من تِلقاءِ نفسي﴾ من قبلِ نفسي، فأكون عبدا لها لاَ لله تعالى. ﴿إن اتَّبِعُ إلاَّ مَا يُوحَى إليَّ﴾ أي: لاَ أتَّبع إلاَّ وحي الله، من غير زيادة وَلاَ نقصان وَلاَ تبديل، خالفَ هوى النفس أو وافقها، لأَنَّ الذِي أتيت بِهِ من عند الله لاَ من عندي، ﴿إنِّي أخاف إن عصيتُ ربِّي﴾ إن اختلقت شَيْئًا من عند نفسي بما تهواه، ﴿عذاب يومٍ عظيمٍ(١٥)﴾ حينمَا نلقى فِيهِ الموت، أو يوم القيامة.

﴿قل: لو شاء الله مَا تَلَوتُه عليكم﴾ يعني: أنَّ تلاوته ليست إلاَّ بمشيئة الله، وإظهاره أمرا عجيبا خارجا عَن العادات، وَهُوَ أن يخرج رجل أُميٌّ لم يتعلَّم، ولم يشاهد العلماءَ، فيقرأ[1] عَلَيْكم كِتَابًا فصيحا يغلب كلَّ كلامٍ فصيحٍ، ويعلو عَلَى كُل منثور ومنظوم، ومشحونا بعلوم الأصول والفروع، والإخبار عَن الغيوب التِي لاَ يعلمها إلاَّ الله، ﴿وَلاَ أدراكم بِهِ﴾ وَلاَ أعلَمَكم الله بالقرآن عَلَى لساني؛ ﴿فقد لبثت فيكم عُمُرا مِن قبله﴾ من قبل نزول القرآن، أي: فقد أقمت فيما بينكم مدَّة، ولم تعرفوني متعاطيا شَيْئًا من نحوه، وَلاَ قدت[2] عليه، ولاَ كنت متواصفا بعلم وبيان، فتتَّهموني باختراعه، ﴿أفلا تعقلُونَ(١٦)﴾! فتعلمون أنَّه ليس إلاَّ من عند الله.

---

١ - في الأصل: «فيقرءوا»، وهو خطأ.

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «قدرتُ».

﴿فمن أظلمُ مِمَّن افترَى عَلَى الله كذبا، أو كذَّب بِآيَاتِه﴾ فزعم أنَّ لله شريكا، إن[1] خالف فيما تعبَّده به؛ أو كذَّب بآياته بالقرآن، أو شَيْء من تأويله، وفيه بيان أنَّ الكاذب عَلَى الله والمكذِّبَ بِآيَاتِه فِي الكفر سواء. ﴿إنَّهُ لاَ يُفلح المجرمُونَ(١٧)﴾ من دون الله، لأنَّهُم لم يسلكوا طريق الفلاح.

﴿ويعبدون من دون الله[2] مَا لاَ يَضرُّهم﴾ إن تركوا عبادتها، ﴿وَلاَ ينفعهم﴾ [٥٢٩] إن عَبَدُوها. ﴿ويقولون: هؤلاء شفعاؤُنا عند الله﴾ أي: فِي أمر الدُّنْيَا والآخِرَة. ﴿قل﴾: يا محمَّد، ﴿أتنبِّئون الله﴾ أتخبرون الله، ﴿بِمَا لاَ يعلم فِي السَّمَاوَات وَلاَ فِي الأَرْض﴾؛ ثُمَّ نزَّه نفسه فقال: ﴿سبحانه وتعالى عَمَّا يشركُونَ(١٨)﴾ نزَّه ذاته عَن أن يكون لَهُ شريك.

﴿وَمَا كَانَ الناسُ إلاَّ أمَّةً وَاحِدَةً﴾ متَّفقين عَلَى ملَّةٍ وَاحِدَة من غير أن يختلفوا بَيْنَهُم، ﴿فاختلفوا﴾ فصاروا مِلَلا. ﴿ولولا كلمة سبقت من ربِّك﴾ وَهُوَ تأخير الحكم بَيْنَهُمُ إلىَ يوم القيامة؛ ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ حين اختلافهم ﴿فيما﴾ هم ﴿فِيهِ يختلفُونَ(١٩)﴾ فيما اختلفوا فِيهِ، وتبرَّأ المحقُّ مِنَ المبطل مشاهدة وعيانا؛ ولكن سبَّق كلمته لحكمة، وَهُوَ: أنَّ هَذِهِ الدار دار تكليف، وتلك دارُ ثواب وعقاب.

﴿ويقولون: لولا أُنزل عليه آية من رَبِّه﴾[3] مِنَ الآيات التِي اقترحوها؛ ﴿فقل: إنَّمَا الغيبُ لله﴾ أي: هُوَ المختصُّ بعلم الغيب؛ فهو العالم بالصارف

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «أو خالف».

٢ - في الأصل: - «من دون الله».

٣ - في الأصل: «من ربه آية» وهو خطأ، وقع فيه تقديم وتأخير.

عَن إنزال الآيات المقترحة لاَ غير. ﴿فانتظِروا﴾ نزول مَا اقترحتموه، ﴿إنّي معكم مِنَ المنتظرِينَ(٢٠)﴾ بِمَا يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات.

﴿وإذا أَذَقْنَا الناس﴾ وَهُوَ[1] أنتُم، عامٌّ لجنس الناس، ﴿رحمة﴾ رحمةً وحِصنا ونحوهما، ﴿من بعد ضرَّاء مسَّتهم؛ إِذَا لَهُم مكر فِي آياتنا﴾ بدفعها وإنكارها، والمكر: إخفاء الكيد. ﴿قل: الله أسرع مكرا﴾ ولم يصفهم بسرعة المكر، لأَنَّ كلمة المفاجآت[2] دلّت عَلَى ذَلِكَ، كأنَّه قَالَ: وإذا رحمناهم من بعد ضرَّاء فاجؤوا وقوع المكر منهم، وسَارَعوا إليه قبل أن يغسلوا [كَذَا] رؤوسهم من مس الضرَّاء. ﴿إنَّ رُسلنا﴾ يعني: الحفظة ﴿يكتبون مَا تمكرُونَ(٢١)﴾ إعلام بِأَنَّ مَا تظنُّونه خافيا لاَ يخفى عَلَى الله، وَهُوَ منتقم منكم.

﴿هُوَ الذِي يسيِّركم فِي البرِّ والبحر﴾ يجعلكم قادرين عَلَى قطع[ـهما] بالأرجل والدواب، والفلك الجارية. ويخلق فيكم [الأمور] الداعية إِلَى السير. ﴿حتّى إِذَا كُنتُم فِي الفلك، وجرين بهم بريح طيِّبة، وفرحوا بها﴾ لِلَينها واستقامتها، ﴿جاءتها ريحٌ عاصف﴾ شديدةُ الهبوب، ﴿وجاءَهم الموجُ من كُلِّ مكان﴾ مِنَ البحر، ﴿وظنُّوا أنَّهم أُحيطَ بهم﴾ أهلكوا، جعل إحاطة العدو مَثَلا فِي الهلاك. ﴿دَعَوا الله مخلصين لَهُ الدين﴾ من غير إشراك بِهِ، لأَنَّهُم لاَ يدعون حينئذ معه غيره؛ يقولون: ﴿لئن أنجيتنا من هَـذِهِ﴾ الأهوال، ﴿لنكونَنَّ مِنَ الشاكرِينَ(٢٢)﴾ لنعمتك، مؤمنين بك.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «وهم».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «المفاجأة».

﴿فَلَمَّا أنجاهم إِذَا هم يَبغُون فِي الأَرْض﴾ يُفسدون فِيهَا ﴿بغير الحَقِّ﴾ أي: بالباطل. ﴿يَا أَيُّهَا النَاس إِنَّمَا بغيكم عَلَى أنفسكم﴾ أي: ظلمكم يرجع عليكم. ﴿متاعُ الحياة الدُّنْيَا﴾ أي: بغيكم كمتاع الحياة الدُّنْيَا، ويضمحلُّ ويبقى وبالُه عليكم؛ ﴿ثمَّ إلينا مرجعكم فننبِّئكم بِمَا كُنتُم تَعْمَلُونَ(٢٣)﴾ فنجزيكم بِهِ، ونجازيكُم عليه؛ وقد ضرب الله تعالى للدنيا مثلا، لأنَّ الأشياء يظهرُ سرُّها وحقيقتها بالمثل؛ فقال:

﴿إِنَّما مَثَلُ الحياة الدُّنْيَا﴾ حالها العجيبة في سرعة نُقصِها، وذهاب نعمتها بعد إقبالها، واعتزاز البأس بها؛ وذلك مَثَلٌ لجميع مَا حول العبد مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ سريع الذهاب، لأَنَّهُ إن بقيَ لك لم يبق لَهُ، ﴿كماءٍ أنزلناه مِنَ السَّمَاء، فاختلط بِهِ نبات الأَرْض﴾ أي: فاشتبك بسببه حتّى خالط بعضه بعضا، ﴿مِمَّا يأكل الناسُ﴾ مِنَ الحبوب والثمار والبقول؛ ﴿والأنعامُ﴾ يعني: الحشيش. ﴿حتّى إِذَا أخذت الأَرْض زُخرفها﴾ أظهرت زينتها بالنبات، واختلاف ألوانه، ﴿وازَّينت﴾ وتزيَّنت بِهِ وأظهرت حسنها عند إقبالها، وأخفت عواقبها عَن أبنائها؛ ﴿وظنَّ أهلها﴾ [٢٣٠] الطامعون إِلَيْهَا ﴿أنَّهم قادرون عليها﴾ كأنَّهم ظافرون بها؛ ﴿أتاها أمرُنا﴾ عذابنا، وَهُوَ ضرب زرعها ببعض العاهات، بعد أمنهم واستيقانهم أنَّه قد سَلِمَ، وأنَّه واصل إِلَيْهِم ومنتَفَعٌ بِهِ ﴿ليلا أو[1] نهارا فجعلناها﴾ فجعلنا زرعها ﴿حصيدا﴾

---

١ - في الأصل: «و» وهو خطأ.

شبيها بِمَا يُجَذُّ مِنَ الزرع، وقطعه[1] واستئصاله؛ ﴿**كأن لم تَغنَ بالأمس**﴾ يعني: صارت كأن لم تكن، وَمَا حصلوا منها إلاَّ الجزاء. ﴿**كذلك نفصِّل الآيات لقوم يتفكَّرُونَ(٢٤)**﴾ فينتفعون بضرب الأمثال، وَهَذَا مِنَ التسلية؛ شبَّه حال الدُّنْيَا فِي سرعةِ نقصها، وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأَرْض فِي جفافه وذهابه حطاما، بعدما الْتَفَّ وتكاثف وزيَّن الأَرْض بخُضرته؛ وَلَمَّا وصف الدُّنْيَا، وقلّة انتفاعها، وسرعة ذهابها، وكثرة آفاتها؛ رغَّب فِي عمل الآخِرَة فقال:

﴿**والله يدعو إلَى دار السلام**﴾ عَن الفناء والذهاب، يعني: الجنَّة؛ وَقِيلَ: السلام هُوَ الله تعالى، وداره: الجنَّة؛ يدعو عباده إلَى جنَّته ببعث الرسل، ونصبِ الأدلَّة؛ وقيل: سُميَت الجنَّة دار السلام، لأَنَّ من دخلها سَلِمَ مِنَ الآفات، ﴿**ويهدي[2] من يَشَاء إلَى صِرَاط مُسْتَقِيم(٢٥)**﴾.

﴿**للذين أحسنوا الحسنى**﴾ المثوبة الحسنى وهي الجنَّة، ﴿**وزيادة**﴾ قيل: الرضوان. ﴿**وَلاَ يرهق وجوههم**﴾ وَلاَ يغشاها ﴿**قتر**﴾ غَبَرَة، ﴿**وَلاَ ذلَّة**﴾ وَلاَ أثر هوان، والمعنى: وَلاَ تُرهقهم مَا يرهق أهل النار. من آثار أصحابنا: «وعن قول الله: ﴿وَلاَ يَرهَقُ وُجُوهَهَم قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ﴾ فقد قيل: لاَ يرهقهم لاَ يغشاهم، والقتر: الكسوف، والذلّة: الكآبة». ﴿**أُولَئِكَ أصحاب الجنَّة هم فِيهَا خالدُونَ(٢٦)**﴾.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الصواب: «من قطعه»، أو «بقطعه». ليستقيم التركيب.

٢ - في الأصل: «والله يهدي»، وهو خطأ.

﴿وَالذِينَ كَسَبوا السَّيِّئَـات﴾ فنـون[كَـذَا] الشـرك أو النفـاق، ﴿جـزاء سيِّئة بمثلها، وترهقهم ذلّة﴾ ذلّـة وهـوان، ﴿مَـا لَهُـم مِـنَ الله﴾ مـن عقابـه ﴿من عاصم﴾ أي: لاَ يعصمهم أحد من سخطه وعقابـه، ﴿كأنَّـما أُغشِيت وجوههم قطعا مِنَ الليل مظلما﴾ أي: جُعـل عليهـا غطـاءٌ مـن سـواد الليـل، لفرط سوادها وظلمتها، ﴿أُولَـئِكَ أصحاب النار هم فِيهَا خالدُونَ(٢٧)﴾.

﴿ويوم نحشرهـم جـميعا﴾ الكفّار وآلهتهم؛ ﴿ثمَّ نقول للذين أشركوا﴾ أيّ شـرك كَـانَ، ﴿مكـانَكم﴾ أي: إلزمـوا مكـانكم لاَ تـبرحوا، ﴿أَنتُـم وشركاؤُكم، فَزَيَّلنا﴾ ففرّقنا ﴿بَيْنَـهُم﴾ وقطعنـا قرنـاءهم، والوصـل التِـي كَانَت بَيْنَـهُم فِي الدُّنْـيَا يُواصلـون بهـا أُلفَتَهُـم. ﴿وقـال شـركاؤهم﴾ مـن عبدوه من دون الله: ﴿مَا كُنتُـم إيَّانا تعبـدُونَ(٢٨)﴾ إنَّـمَا كُنتُـم تعبـدون الشياطين فِي الحقيقة، من حيث أمروكم أن تتَّخذوا لله أنـدادا فـأطعتموهم؛ فيقولون: بلى كُنَّا نعبدكم؛ فتقول الأصنام: إنَّـمَا كُنتُـم تعبـدون أهويتكـم؛ لقوله: ﴿أرأيت من اتَّخَذَ إلَهه هَوَاهُ﴾[1]. ﴿فكفى با لله شـهيدا بيننـا وبينكـم إن كُنَّا عَن عبادَتِكم لغافلِينَ(٢٩)﴾ مَا كُنَّا عَن عبادتكم إلاَّ غافلين.

﴿هنالك تَبلُوا كُلُّ نفس﴾ تُختَبر وتَذُوق ﴿مَا أسلفت﴾ مِنَ العمل، فتعرف كيف هُوَ، أقبيح أم حسن. ﴿ورُدُّوا إلَى الله مولاهـم الحَـقِّ﴾ ربـهم الصـادق [فِي] ربوبيَّته، لأنَّهُم كَانُوا يَتَوَلَّون مَا ليـس لربوبيَّته حقيقة، ﴿وضـلَّ عَنْـهُم مَـا كَـانُوا يفترُونَ(٣٠)﴾ وضاع عَنْهُم مَا كَانُوا يَدَّعُون أنَّهم شركاء لله.

---

١ - سورة الفرقان: ٤٣. كتبها الناسخ في الأصـل: ﴿أفمـن اتَّـخَذَ...﴾، وهـو خطـأ. وفي سورة الجاثية: ٢٣: ﴿أفرأيت...﴾.

﴿قل: مَن يَرزُقكم مِنَ السَّمَاء [٢٣١] والأَرْض أَمَّن يملك السمعَ والأبصار﴾ من يستطيع خلقهما وتسويتهما عَلَى الحد الذِي سُويَا عليه مِنَ الفطرة العجيبة، أو من يحميهما مِنَ الآفات مَعَ كثرتهما فِي المدد الطوال، وهما لطيفان يُؤذِيهما أدنى شيء. ﴿ومن يُخرج الحيَّ مِنَ المَيِّت، ويخرج المَيِّت مِنَ الحيِّ﴾ أي: الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم مِنَ النطفة والبيضة والحب، والكافر والجاهل وعكسها، ﴿ومن يدبِّر الأمر﴾ ومن يلي تدبير أمر العالم. ﴿فسيقولون: الله﴾ فسيجيبونك عند سؤالك أنَّ القادر عَلَى هَذِهِ هُوَ الله، ﴿فقل﴾ لَهُم: ﴿أفلا تَتَّقُونَ(٣١)﴾ الشركَ فِي العبوديَّةِ، إِذَا اعترفتم لَهُ بالربوبيَّة.

﴿فذلكم الله﴾ أي: مَن هَذِهِ قُدرته: الله ﴿رَبُّكُم الحَقُّ﴾ الثابت ربوبيَّته ثباتا لاَ ريب فِيهِ، لمن حقّق النظر. ﴿فماذا بعد الحَقِّ إلاَّ الضلال﴾ أي: لاَ واسطة بين الحق والضلال؛ فمن يخطئ الحقَّ وقع فِي الضلال، ومن سلم مِنَ الضلال كَانَ عَلَى الحق. ﴿فأنى تصرفُونَ(٣٢)﴾ عَن الحق إِلَى الضلال، وعن التوحيد إِلَى الشرك.

﴿كذلك﴾ مِثل ذَلِكَ الحق، ﴿حقَّت كلمة رَبِّكَ﴾ كما حقّت الربوبيَّة لله حقَّت كلمة رَبكَ ﴿عَلَى الذِينَ فسقوا﴾ تَمرَّدوا فِي كفرهم، ﴿أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ(٣٣)﴾ أي: حقَّ عَلَيْهِم كلمة الله أنَّ إيمانهم غير كائن.

﴿قل: هل مِن شُرَكَائكم من يبدأ الخلقَ﴾ من نطفة، ﴿ثُمَّ يعيده﴾، فإن أجابوك، وَإِلاَّ ﴿قل: الله يبدأ الخلق، ثُمَّ يُعيده فَأَنَّى تُؤفَكُونَ(٣٤)﴾ فكيف تُصرَفُونَ عَن قصدِ السبيلِ.

﴿قُل: هل مِن شركائكم﴾ يعني: الأوثان، ﴿مَن يهدي إِلَى الحَقِّ﴾ يرشد إِلَيْهِ، ﴿قل: الله يهدي لِلْحَقِّ أفمن يَّهدِي إِلَى الحقِّ أَحَقُّ أن يُتَّبَع أمَّن لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أن يُّهدَى﴾ والمعنى: أنَّ الله وحده هُوَ الذِي يهدي للحق، بِمَا رَكَّب فِي المكلَّفين مِنَ العقول، وأعطاهم مِنَ التمكين للنظر فِي الدلالة[1] التِي نصبها لَهُم، وبما وفَّقهم وألهمهم، ووَقَفَهم عَلَى الشرائع بإرسال الرسل؛ فهل من شركائكم التِي[2] جعلتم أندادا لله أحدٌ يهدي إِلَى الحق؟ ثُمَّ مَثَّلَ هدايةَ الله ثُمَّ قَالَ: ﴿أفمن يهدي إِلَى الحق أحقُّ﴾ بالإتبَاع ، أم الذِي لاَ يَهدِي؛ أي: لاَ يهتدي بنفسه، أو لاَ يهدي غيرَه إِلاَّ أن يَهدِيه الله؛ ﴿فما لكم كيف تحكمُونَ(٣٥)﴾ تقضون لأنفسكم بالباطل، حيث تزعمون أنَّهم أنداد لله.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أكثرهم إِلاَّ ظنًّا﴾ بغير دليل فِي عامَّة أمورهم الدُّنْيَاوية والأخروية، لأَنَّهُم لاَ يتَّبعون إِلاَّ الوهميَّات مِنَ الأمور دون الحقائق. ﴿إِنَّ الظنَّ لاَ يُغني مِنَ الحَقِّ﴾ أي: لاَ يقوم مقام العلم (العلَّم) الثابتِ الذِي لاَ يزول ﴿شَيْئًا، إِنَّ الله عليم بِمَا يفعلُونَ(٣٦)﴾ من اتباعِ الظن، وترك الحق.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا القرآنُ أن يُفترَى من دون الله﴾ مَا صحَّ وَمَا استقام أن يكون مثله فِي عُلو أمرِه وإعجازِه مُفترى، ﴿ولَكِنْ تصديقَ الذِي بين يديه﴾ وَهُوَ مَا تقدَّمه مِنَ الكتب المنزَّلة، ﴿وتفصيلَ الكتاب﴾ وتبيين مَا كُتِب وفُرض مِنَ الأحكام والشرائع، ﴿لاَ ريب فِيهِ﴾ عند أهل الحق، ﴿من رَبِّ الْعَالَمِينَ(٣٧)﴾.

---

١ - كذا في الأصل، ولعلَّ الأصوب: «الدلائل»، أو «الأدلَّة».

٢ - كذا في الأصل، ولعلَّ الأصوب: «الذين».